

الاعلام العربي بحاجة الى نهضة واحتراف وأخلاقيات مقال في مجلة الحوار العربي

مجلة فكرية ثقافية شهرية تصدرها مؤسسة الفكر العربي

السنة الثانية/العدد ١٣ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٥

بقلم ماجدة أبو فاضل

مديرة معهد الصحافيين المحترفين

في الجامعة اللبنانية الأميركية - بيروت

مقدمة:

هل يعقل أن محرراً في جريدة عربية مرموقة ومتخرجاً في الاعلام لا يعرف اسم الجامعة التي تخرج منها أو يجهد صفة شخص يتعامل معه بشكل دوري؟

هذا ما حدث عندما كتب أحد المحررين عن مؤسستنا أنها الجامعة الأميركية اللبنانية (بدلاً من الجامعة اللبنانية الأميركية) وعرفت أنا كالدكتورة ماجدة أبو فاضل وأنا لا أدعي "الدكترة" ولم أحصل على شهادة الدكتوراة لكنني مارست التعليم الجامعي ولي مؤلفات أكاديمية وخبرة تفوق العقدين كصحافية ومراسلة ومحركة لدى عدة وسائل اعلام عالمية في الولايات المتحدة والشرق الأوسط.

عائبت صديقي المحرر وطلبت منه تصويبا في الجريدة لأن من بديهيات الأمور أن يتقيد بما أصريت دوماً عليه وهو معيار الدقة في نقل الأخبار.

ثم ان رغم الشهرة العالمية التي يتمتع بها معهد الصحافيين المحترفين الذي أديره والذي مركزه جامعتنا، من المؤسف ان المغالطة تجعل القراء يخلطون بيننا وبين الجامعة الأميركية في بيروت والمنافس الأكبر لمؤسستنا.

مثال صغير لكن أصداءه قد تكون كبيرة ووخيمة اذا لم يتقيد الصحافي بهذا القدر البسيط من الاحتراف المهني.

يقول المثل الانكليزي ان "اللجنة هي في التفاصيل" بمعنى ان من لا ينتبه للتفاصيل يتجاهل المغزى الحقيقي للمقال أو القضية المعروضة أو الاشكالية القانونية.

أما نحن العرب فمعروفون بتجاهلنا للتفاصيل الدقيقة وتمويهنا للمعلومة وعدم الاكتراث للدقة واللامبالاة لنتائج افعالنا وينعكس ذلك سلبياً على كل أعمالنا، لا سيما الاعلامية منها.

الوضع السائد لدى الاعلاميين العرب:

رأى ابراهيم العريس في عمود عن الاعلام في جريدة الحياة {٢٢/٦/٢٠٠٥ ص ٢١} ان ليس مطلوباً من مراسلي ومذيعي التلفزيون ان يكونوا أحفادا لسببويه أو للخليل بن أحمد. لكنه عاتب محبي اللغة العربية، وهم كثر، على السكوت "عن تلك المجزرة اليومية التي تتحرر اللغة العربية في كل ساعة ودقيقة على الشاشات الصغيرة، في معظمها، ان لم يكن في مجملها، أو عن تلك المجزرة الأخرى التي تطاول أبسط المعلومات وبعض البديهي منها في برامج عدة".

انه لمؤسف حقاً أن نسمع مذبذباً يصف موسكو اليوم بأنها عاصمة الاتحاد السوفياتي {علما ان هذه الامبراطورية انتهت} أو يعرف براغ بأنها عاصمة تشيكوسلوفاكيا {وهي الأخرى أصبحت في عداد الأموات بعد انقسام البلد الي جمهورتي تشيكيا وسلوفاكيا، ناهيك عن جمهورية سلوفينيا} وهذه أمثلة مما لا يحصى من الأخطاء الجغرافية التي تدل على عدم المطالعة ومواكبة الأخبار عن كذب ومتابعة التغيرات الجذرية في الأنظمة السياسية عالمياً.

أما بالنسبة للتاريخ وشؤون الاقتصاد، فان معرفة الاعلاميين، لا سيما الصغار منهم، سطحية اجمالاً وكأن التعمق في الأمور خطيئة.

ولعل من أسوأ الأخطاء تلك التي ترتكب في لفظ أو كتابة الأسماء أو المواقع غير العربية. فنجد مذبذباً يشرح اسم رئيس أو وزير أجنبي أو يكتب ما يحلو له في نص مقالة لأنه يعتقد ان هكذا يجب كتابته اذا ترجم حسب تسلسل الأحرف اللاتينية مثلاً.

فكم من مرة رأينا اسم الرئيس البولندي والزعيم النقابي السابق ليخ فاوينا مكتوب وملفوظ ليش فاليسا؟ هل من الصعب استشارة سفارة البلد المعني في الموضوع وطرح السؤال على الملحق الصحافي أو الثقافي؟ سؤال بسيط يدل على ان الاعلامي يحترم نفسه والمادة التي يتعاطى بها.

نعم، تقصي المعلومات يتطلب جهداً ووقتاً ومثابرة الا ان المكافأة تستحق الشقاء.

الاحتراف كمكون أساس في العمل الصحافي:

ثلاث قواعد أساسية أرددتها للطلاب والصحافيين المتمرسين في المهنة وأود أن أشارككم بها من أجل تعزيز مفهوم الاحتراف الاعلامي _

١. لا تقترضوا شيئاً أو تسلموا بصحة أي خبر لأنه قد ينعكس سلباً عليكم. فمثلاً الصحافي الذي يفترض أن مصدر المعلومة موثوق به لأنه حامل لقب كبير أو يدعي الفهم في مسائل معقدة قد يقع في فخ نصب له للترويج لسياسة هذا المصدر أو للايقاع بأعدائه، أو قد يكون ناتجاً عن جهل المسؤول المعني، فتضطر المؤسسة الاعلامية الى اصدار تصويبات وتفقد بعضاً من مصداقيتها.

٢. بسطوا الأمور لأن التعقيد لا يعني بالضرورة الذكاء أو العلم أو المعرفة. فكم من مرة رأينا أن الصحافي "فسر الماء بعد الجهد بالماء؟" الأمور العلمية والمالية تستدعي الاستعانة بالخبراء لفك الرموز لكن الاعلامي الذي يتشاطر على المشاهدين أو القراء باستعمال المصطلحات المعقدة قد يتسبب في سوء فهم المعلومة واتخاذ اجراءات غير مستحبة أو خطيرة في حالة مثل الوقاية من الأمراض المتفشية كأنفلونزا الطيور أو تجنب المخاطر بعد حدوث كارثة بيئية أو بعد اعلان افلاس مؤسسة مالية.

٣. تجنبوا المراوغة وادخلوا في صلب الموضوع. نفتخر كعرب بكون لغة الضاد لغة غنية بالمرادفات والصفات لكننا كاعلاميين نفتقر الى أسلوب الخوض في صلب الموضوع. فمن المفارقة أن يدعي الاعلام العربي أنه يريد أن يصحح المعلومات المغلوطة عن عالما العربي والاسلامي التي يتهم الاعلام الغربي بالترويج لها فيخوض بأسلوب نثري وشعري أكل عليه الدهر وشرب وطحنه تحت عجلات العولمة وسرعة التكنولوجيا والنقل المباشر والانترنت ورسائل الهاتف المحمول.

عندما عملت كمحررة في وكالة أنباء عالمية وكانت تصلني رسالة باللغة العربية من أحد مراسلينا في المنطقة، غالباً ما كنت أضيع وقتي في التنقيب عن المغزى، وأستجوبه عن السياق وتأثير الخبر على مجريات الأمور، لأن هذه المعلومات كانت تغرق في أسفل الرسالة ولا تمت بأية صلة للعنوان ولما سبقتها من تفاصيل.

وكان علي أن أطلب من المحرر العربي في الوكالة أن يبسط الأنباء ويفسرها بصيغة مفهومة، أولاً لتتناقلها وسائل الاعلام الأخرى عن وكالتنا، وثانياً لأستطيع كتابتها باللغة الانكليزية لضمان انتشارها عالمياً وبأسلوب محترف وسليم.

تجربة المؤسسات الناجحة اعلامياً في الاحتراف:

رغم الانتقادات الموجهة دوماً لبعض الفضائيات العربية لكونها تروج للعنف والاستفزاز السياسي، إلا أنها خاضت شوطاً كبيراً لم تكن تعرفه من قبل وسائل اعلام الدول العربية التي كانت ولا تزال في مجملها تعمل كأبواق لحكوماتها.

كتب أحمد الجهيني في مقالة عن المرئيات ان محطات اخبارية وحوارية ساهمت في تكوين الوعي الشعبي {جريدة صدى البلد اللبنانية _ ٢٢/٦/٢٠٠٥ ص ١٥}.

وعنونت الجريدة المذكورة أعلاه: "هل حلت الفضائيات محل الأحزاب السياسية العربية؟"

نجحت الفضائيات في "نشر المعرفة، بل ربطت بين مشاكل المنطقة بشكل لم يسبق له مثيل" حسب وصف الكاتب.

ثم ان انتشار الفضائيات "غير الرسمية" قد أدى الى انحسار دور الاعلام الرسمي المروج للمادة المبتذلة والكليشيات المملة مثل "استقبل وودع" وغيرها من الأخبار التي لا يكثر لها عامة الشعب.

عندما بدأت قناة الجزيرة القطرية العمل بطاقم من خدمة التلفزة العربية لهيئة الاذاعة البريطانية، رأينا نقلة نوعية في تقديم واخراج الأخبار في العالم العربي أشبه بالقناة الاخبارية "سي ان ان".

ثم عندما بدأت الجزيرة بمهاجمة الأنظمة العربية، انهالت عليها الانتقادات من كل الجهات، ومع التغيير المتواصل لكوادرها وادارتها وأسرة التحرير وما اعتبره البعض بالانحياز لجهات معينة، أصبح المحللون الاعلاميون يشككون في احترافها ومصداقيتها.

ثم جاءت القنوات الأخرى كقناة أبوظبي والعربية والحياة ال بي سي لشد الميزان للجهة المعاكسة أو على الأقل لما يشبه الاعتدال فوضعتنا في أجواء تعددية تسمح لنا برؤية الصورة من عدة زوايا، وهذا أفضل للجميع.

لكن هذا لا يعني أن التعددية تضمن الاحتراف. فالكل يدرك ان الرقابة والرقابة الذاتية في وسائل الاعلام العربية لا زالت عائقاً كبيراً أمام الصحافة الاستقصائية المعترف بها دولياً وان المعايير المعتمدة عالمياً كالدقة والعدالة وكيفية استخدام المصادر وغيرها ليست دائماً في سلم أولويات الاعلاميين العرب لعدة أسباب، منها غياب حرية الصحافة والضغط الممارسة من قبل السلطة، ناهيك عن الاغتيالات والقمع وقطع أرزاق من يعتبرون من المعارضة، الخ.

الا ان هذا يزيدني قناعة بالحاجة الى دراسة وتحليل وسائل اعلام من شتى أنحاء العالم واعتماد أفضل ما تقدمه وتكييفها مع البيئة العربية مع الأخذ بالاعتبار أننا بحاجة الى التأقلم مع العصر ومواكبة القرن الحادي والعشرين والابتعاد عن المفاهيم الضيقة وتحاشي الصور النمطية التي نكونها عن الآخرين ونصورها في اعلامنا على أنها الحقيقة المجردة.

أهمية الاحتراف في العمل الصحفي والاعلامي:

لماذا هذا التركيز على الاحتراف وما هي المكاسب التي يدرها التقيد بمعايير عالمية ومعترف بها؟

لنقل ان عدم الاحتراف كالذهاب لصيد الأسماك بدون صنارة الصيد والطعم المناسب. النواقص ستظهر عاجلاً أو آجلاً وتؤثر سلباً على التغطية الاعلامية.

١. الصحفي المحترف يعتمد قبل كل شيء على صيته ومصداقيته ونزاهته ومتى فقد هذه الصفات فقد هويته الاعلامية.
٢. ثم ان الاعلام سلاح ذو حدين، يفيد ويؤذي. لذلك من المستحسن ان يتحلى الاعلامي بقدر كبير من المسؤولية لئلا تتسبب تقاريره بمشاكل ومأس.
٣. الاحتراف يتطلب جهداً جسدياً وذهنياً كبيراً لمتابعة الأخبار والمصادر خلال ساعات النهار وأحياناً في ساعات الليل.
٤. المطالعة المعمقة والواسعة في أن في شتى الموضوعات من بديهيات العمل الاعلامي المحترف، لا سيما في عصر العولمة الذي يطرنا بوابل من المعلومات المكتوبة والمرئية والمسموعة والافتراضية والتي تتطلب اتزاناً ونضوجاً لغربلتها ووضعها في السياق المطلوب.
٥. يجب ألا ننسى أهمية المنافسة في الاحتراف لأن عنصر الوقت هو الغالب في إيصال المعلومة الدقيقة والصحيحة. الا أن التهور قد يفقدنا هامش الأسبقية والمصداقية. وهنا أتوجه الى زملائي المحررين الذين يخلطون الحابل بالنابل ويمزجون شعبان برمضان دون التأكد من المعلومة أو مراجعة المراسل الذي حصل عليها فيعرضونه للخطر أو الاهانة أو التهميش من قبل مصادرهم.
٦. الاحتراف يحتم على الاعلامي ضبط مشاعره والسيطرة على الموقف المثير أو الحرج دون أن يفقد انسانيته. ففي بعض الأحيان يجد الصحفي نفسه أمام كارثة تستحوذ كل طاقاته أو يضطر الي تغطية خبر عن استهداف زميل له في مهنة المتاعب، فكيف يتصرف ويتابع عمله؟
- كتبت زينب ياغي: "تلك هي اللحظات الأصعب. لا يسمح للاعلامي خلالها بالبكاء والصراخ، لا يمكنه رفض العمل، ولا اطلاق الشتائم. تلك هي اللحظات التي لا يقوى فيها الاعلامي على اتخاذ القرار: هل يتابع أم يتوقف؟" {جريدة السفير اللبنانية ١٠/١٠/٢٠٠٥ ص ١٧}
٧. يجب على المحترف التمييز بين الخبر والتحليل والرأي. لذلك سأستعين بالمثل الشعبي المصري الذي يقول: "كله صابون، كله بيغسل". كلا. ليس كل الصابون جيداً وهناك أنواع أفضل من غيرها لاستخدامات مختلفة. كذلك على المحترف ألا يعتمد الخلط بين الخبر والرأي مثلما نجد في كثير من النشرات المتلفزة في لبنان حيث يتمتع الاعلام بهامش لا بأس من الحرية ولكن حيث تصبح مقدمة النشرة أشبه بافتتاحية الجريدة وتستهمل كأداة للنيل من الخصوم تحت غطاء حرية التعبير.

نماذج من عدم الاحتراف:

"لماذا يتصرف الصحفيون على هذا النحو؟" سؤال طرحته جريدة السفير عن أسلوب تعاطي الصحفيين اللبنانيين {"وكانهم أهل فتنة"} مع رئيس الحكومة فؤاد السنيورة المعروف بهدوئه رغم تكاثر الأخبار عن تداعيات التحقيق الدولي في اغتيال الرئيس رفيق الحريري الذي شغل المنصب ذاته والذي كان صديق السنيورة ورئيسه.

تكتب سحر مندور: "يبدو الصحفيون أمامه... عايزين جنازة يشبعوا فيها لطم. كأنهم يرتجون وقوع المصيبة كي يتسلوا." {السفير ٢٠/٧/٢٠٠٥ ص ١٧}.

يالها من صورة قبيحة.

وتكتب زينب ياغي في العدد نفسه من الجريدة أن أخبارنا أصبحت بين حدي الفتاوى والعمليات الانتحارية. "جمهور لا يجد اي انجاز في بلاده غير الفتوى، يعممها الاعلام كي يعرف بها أكبر عدد من المسلمين، فيختبئون خلفها، خوفاً من ضياع الهوية."

وإذا قمنا بدراسة لوسائل الاعلام في السنوات الخمس الماضية نرى ازدهاراً في ما يسمى بالاعلام الازدهاري. فقد زادت أخبار المجموعات التي تتبنى العمليات الانتحارية وخطف الناس من العرب والأجانب، ونحر الصحفيين وقطع رؤوسهم، مع توفير كل التفاصيل الدامية بالصوت والصورة على مواقع الانترنت والفضائيات وغيرها من وسائل الاعلام.

وتعلم هذه المجموعات ان باستهدافها الاعلاميين ستحصل على تغطية أكبر وتحظى باهتمام أوسع من الرأي العام.

"فمهنة المتاعب باتت مهنة الأخطار" كما قالت جريدة النهار اللبنانية والصحافيون أصبحوا "مشاريع شهداء".

كتبت جنى نصرالله في تحقيق عن استهداف الصحفيين ان "الاعتقالات في لبنان سياسية في الدرجة الأولى، تنتفذ بأدوات اعلامية". {النهار ١٠/٨/٢٠٠٥ ص ١٣}.

والمشكلة هنا هي كيف يتعامل زملاء الصحفي المخطوف أو المقتول أو المستهدف مع الخبر وكيف يفسرون الحقيقة وهل يتلاعبون بها لنجدة الزميل الذي يلحق به الأذى؟

الاعلام والأخلاق:

من الصعب اجراء مسح مقارنة بين قوانين الاعلام في العالم العربي من حيث أخلاقيات المهنة لأن مفهومها يختلف من بلد الى بلد. ثم ان هناك ما قد يعتبر منافياً للقانون في بلد ويعتبر شيئاً طبيعياً ومقبولاً في بلد آخر. زد على ذلك الشح في موانئ الشرف الاعلامية، أو وجودها لكن بمفاهيم العصر الحجري حيث لا تواكب العصر ولا تعتمد من قبل المؤسسات الاعلامية بل ربما تكون منزلة من الحكومة لتخدم مصالح المسؤولين فيها.

لقد حاولنا في معهد الصحفيين المحترفين ومن خلال ثلاثة مؤتمرات تمحورت حول أخلاقيات مهنة الصحافة أن نشجع زملائنا في لبنان وكافة الدول العربية على تبني ميثاق شرف يطبق عن قناعة داخل المؤسسة الاعلامية لأن ما لا يقنع الناس لا يطبقه الناس.

وأختتمنا المؤتمر الثالث باصدار توصيات عرضناها بأسلوب مبسط ولازلنا نطالب بها.

جاء فيها:

١. اعتماد العدالة في كتابة الأخبار وعرض وجهات النظر المختلفة.
٢. التركيز على الأمانة في التعامل مع الأخبار ومصادرها.
٣. التزام الصدق في التعاطي مع الخبر.
٤. الالتزام تجاه الجمهور والرأي العام.
٥. الشجاعة في قول الحقيقة.
٦. الوعي لمسألة التنوع بكل أشكاله.
٧. التضامن مع زملاء الاعلاميين الذين يواجهون سوء المعاملة.
٨. تنمية المهارات الاعلامية عن طريق التدريب المستمر.

وهنا أود الإشارة الى أهمية تطوير القدرات واعادة التأهيل وتحسين أداء الصحافيين لأن الاحتراف يشمل ليس فقط التقيد بمعايير أخلاقية عالية لكن بمهنية عملية وتقنية أيضاً.

ورد في دراسة أجراها معهد بوينتر للصحافة في الولايات المتحدة ان التدريب أضحي أهم من ذي قبل نظرا للتغيرات التي يشهدها الاعلام ومفهومنا لمن هو صحافي اليوم. فالانترنت والكمبيوتر والكاميرا الرقمية ومواقع البلوغرز توفر لنا جميعا فرصة للنشر والاذاعة وايصال أفكارنا لكل أنحاء المعمورة لكن لن ننجح في رسالتنا النبيلة أو في اقتناع منتقدينا اذا لم نبدأ بعملية تصويب بسيطة ونعترف بالأخطاء التي نرتكبها ونكف عن البحث عن الحجاج غير المجدية.

وكما هو معروف، رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة، فلنخط بشجاعة في اتجاه الاحتراف الاعلامي ولننهض بهذه المهنة.

ماجدة أبو فاضل صحافية مخضرمة عملت لخمس وعشرين عاما في المؤسسات الاخبارية الدولية في واشنطن والشرق الأوسط وهي الآن مديرة معهد الصحافيين المحترفين ومديرة المطبوعات في الجامعة اللبنانية الأميركية.

ماجدة أبو فاضل
مديرة معهد الصحافيين المحترفين
الجامعة اللبنانية الأميركية
ص.ب. ١٣-٥٥٣
شوران بيروت ١١٠٢-٢٨٠١
لبنان
هاتف: ٠١-٥٦٤٥٦٤ المقسم ١٢٧٣
بريد الكتروني: ipj@lau.edu.lb
mafadil@lau.edu.lb
موقع انترنت: <http://ipj.lau.edu.lb>

